

١٤٠٩

المنشآت
على الحدود - شارع الملاحة - هاتف: ٤٣٦٠٠
ص. ب. ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بآثار العرب الفكرية
صاحبها ورئيس تحريرها - محمد الجابير

الاشتراك (السنوي)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
عن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ١٢، ١١ س ٢٣ الجماديان ١٤٠٩ هـ - كانون ثاني/ شباط (يناير/ فبراير) ١٩٨٩ م

حول وقعة الفيل :

خثعم وبلادها

وأُمِتِعْتُ بقراءة البحث التي نشرته مجلة « الحرس الوطني » - ع ٩٠ شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٨ هـ ص ٤٣ عن (موقعة الفيل) بقلم المؤرخ العسكري محمد فيصل عبدالمنعم ، وأعجبت بسعة اطلاع الكاتب الكريم على مصادر الموضوع قديمها وحديثها ، ولكنني وقفتُ عند قوله : (وعندما بلغ الجيش الحبشي تهامة اليمن خرج إليه قوم من أهلها اشتهروا بالبأس والشجاعة ، وهم بنو خثعم بقيادة زعيمهم نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي ، واستبسل بنو خثعم في القتال ، ولكن أبرهة تمكن - في النهاية من ايقاع الهزيمة بهم ، وأسر زعيمهم نُفَيْل) . ثم ذكر بعد ذلك بلوغ الجيش الحبشي مدينة الطائف ، فإذا كان هذا الجيش قد اتخذ طريقه من اليمن إلى مكة الطريق التهامي فكيف يخترق سلسلة جبال الحجاز ويرجع إلى مدينة الطائف ؟ ثم ماهو المصدر الذي يمكن الرجوع إليه في عد قبيلة خثعم من سكان تهامة اليمن ، وكتب التاريخ الموثوق بها التي رجع إليها كاتب البحث وأورد أسماءها حين تذكر خبر التقاء الأحباش بقبيلة خثعم لا تزيد على القول : ومضى أبرهة حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي ، في قبيلتي خثعم : شهران وناهس ، ومن معه من قبائل العرب فقاتله ، فهزموه أبرهة ، وأخذ نُفَيْلُ أسيراً ، فأقْبَهُ به فلما همَّ بقتله قال له نُفَيْلُ : أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يَدَايُ لكَ على قبيلتي خثعمٍ شَهْرَانِ وناهس بالسمع والطاعة^(١) .

ولاشك أن مما يعين على فهم القضايا التاريخية ويساعد على إيضاح ماقد يكتنف

بعضها من غموض ، ويزيل ماقد يغشى بعض الحوادث من لبس ، محاولة ربط تلك القضايا والحوادث - ما أمكن - بالبيئات التي حدثت فيها ، بل اعتبار هذه البيئات مع ماجرى فيها كلاً لا يتجزأ في الدراسة التاريخية ، وذلك بإبراز الصلات بين مظاهر هذه البيئات وبين ماجرى فيها من حوادث ، وخاصة متى كان لما يُعْرَضُ من قضايا تاريخية صلات باقية ، كالحال في واقعة الفيل ، التي حدثت فوق أجزاء معروفة من بلادنا ، وشارك فيها من سكان هذه البلاد من لا يزال يعيش فوق أديم الأرض الذي جرت فوقه الحادثة ، كقبيلة خثعم التي لا أريد من حديثي هذا عنها سوى محاولة إبراز جانب من صلتها بتلك الحادثة ، بتعريف بلادها القديمة ، لعل في هذا ما يضيف جديداً مما يتطلبه المهتمون بدراسة تاريخنا القديم .

ولعل الباحث - أيّ باحثٍ في التاريخ العربي قديمه وحديثه - لو حاول معرفة أمكنة استيطان قبيلة خثعم منذ أن عُنيَ المهتمون بتدوين تاريخ القبائل العربية وتنقلها داخل جزيرتها في آخر القرن الثاني الهجري إلى عصرنا الحاضر - لما وجد لتلك القبيلة ذكراً بين سكان تهامة اليمن من القبائل ، ولوجد فيما بين يديه من المصادر التاريخية أن تنقل هذه القبيلة واستيطانها مر بأدوار عدة :

الدور الأول : منذ أقدم ما عرف عن نشئها قبل انفصالها من جذمها الأصلي حين كانت معدودة من فروع أنمار بن نزار بن معد ، من القبائل العدنانية ، قبل أن تنتسب إلى القحطانيين ، وحين كان موطن العدنانيين مكة وماحولها ، قبل أن تنتشر فروعها إلى قبائل متعددة ، لكل قبيلة كيانها الخاص ، وأمكنة استقرارها التي لا تشارك فيها ، فأجلت بنو مدركة بن الياس بجيلة وخثعم من غور تهامة ، فيما حول مكة على ما أورد البكري مفصلاً ، فيما نقله عن قدماء المؤرخين كابن الكلبي وعمر بن شبة وغيرهما ، منسوباً إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنه^(٢) .

الدور الثاني : حين تفرقت القبائل العدنانية اتجه ابنا أنمار بجيلة وخثعم نحو سراة الحجاز ، الواقعة جنوب الطائف ، فاستقرتا في أعالي أوديتها كوادي حلي وغيره ، بعد أن أجلت عنها سكانها الأقدمين - وكانوا من بقايا العرب البائدة ،

من بني إرم ، يعرفون ببني ثابر - على ما ذكر قدماء المؤرخين ، ومن أشهرهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ في كتابه « الافتراق » - تفرق العرب - فيما وصل إلينا منه مما نقله البكري في مقدمة كتابه « معجم ما استعجم » وياقوت الحموي في مواضع من كتابه « معجم البلدان^(٣) » وغيرهما من المتقدمين ، وكلام ابن الكلبي مروى عن ابن عباس - رضي الله عنه - : فقأ أنمار بن نزار بن معد بن عدنان عين أخيه مضر بن نزار ثم هرب ، فصار حيث نعلم - أي انتسب في اليمن ، فظعنن بجيلة ، وختعم ابنا أنمار إلى جبال السروات فنزلوها ، وانتشروا فيها ، فنزلت قسر بن عبقر بن أنمار حقال حلية وأسلم ، وما صاقبها من البلاد ، وأهلها يومئذ حي من العاربة يقال لهم بنو ثابر ، فأزحلوهم عنها ، وحلوا مساكنهم منها ، ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة ، ونفوهم عنها ، ثم قاتلوا بعد ذلك خثعم أيضاً فنفوهم عن بلادهم - ثم أورد من شعر سُويد بن جُدعة القَسْرِي البَجَلِي :

وَنَحْنُ أَرْحَنُ نَابِرًا عَن بِلَادِهِمْ وَحَلِي أُبْحَنَاهَا فَنَحْنُ أَسْوَدُهَا

الدور الثالث : انسياح قبيلة خثعم من أعالي السراة إلى سفوحها وسهولها الشرقية الشمالية ، المتصلة ببلاد نجد ، ومن أسباب ذلك انتشار فروع القبيلتين بجيلة وختعم ، وكثرة تلك الفروع ، وتزاحمها في المنازل ، وقد استأثرت بجيلة بالاستقرار في أعالي السراة من ذلك العهد حتى عصرنا الحاضر حيث يتبوأ بنو مالك (بجيلة^(٤)) أعلى القمم في هذه السراة ، وهو جبل إبراهيم (البثراء^(٥)) وماحوله من الجبال وما انحدر منها من الأودية ، بعد ان أزاحوا إخوانهم الخثعميين عن مجاورتهم - على النهج القبلي المعروف - :

وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرِ أَخِينَا إِذَا مَأْمَ نَجِدُ إِلَّا أَخَانَا

وحدث أن موجة قوية من موجات هجرة قبائل الجنوب بعد حادثة خراب سد مأرب انتشرت في السراة من طرفها الجنوبي حتى بلاد بجيلة منها ، فلم يكن لدى قبيلة خثعم من الحول والقوة ما تحافظ به على ما بقي لها من بلاد بجوار بجيلة ، فكان أن انزاحت عن هذه البلاد جنوباً ، وانساحت شرقاً ، حيث حلت محلها

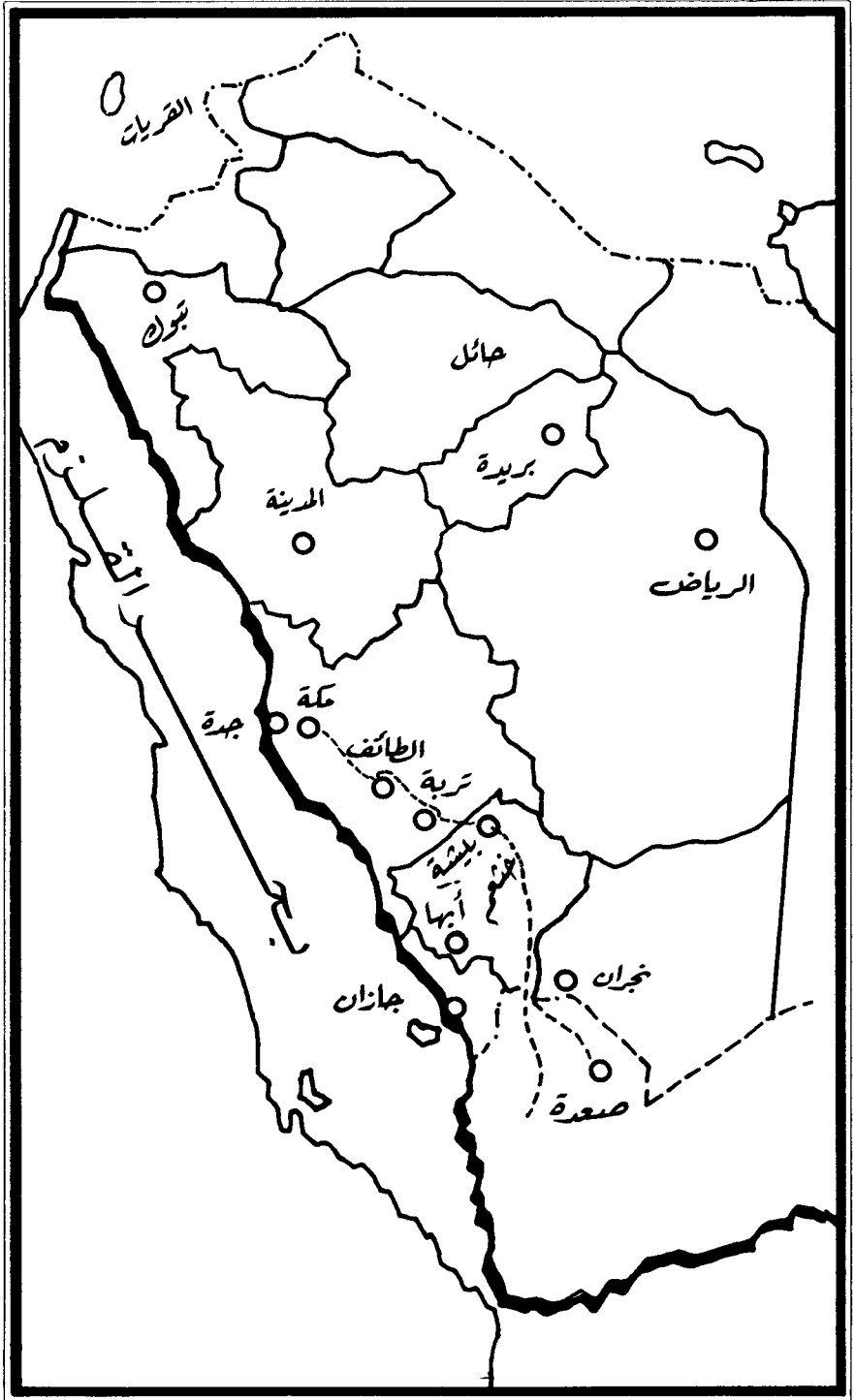
فروع من الأزد منهم زهران وغامد ودوس وبارق ، قال ابن الكلبي : وأقامت خثعم بن أثمار في منازلهم من بلاد السراة ، وما والاها : جبل يقال له شن ، وجبل يقال له بارق حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ ، وتفرقتها في البلاد ، فقاتلوا خثعماً فأنزلوهم من جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوة : غامد ، وبارق ، ودوس ، وتلك القبائل من الأزد ، فظهر الإسلام وهم أهلها وسكانها ، وعن استيطان خثعم في السراة يقول شاعرهم العملسُ القحافيُّ - وقحافة بطن من شهران من خثعم - :

نَحْنُ الَّذِينَ وَرَثْنَا الطَّوْدَ عَنْ إِرْمِ أَيَّامَ أَحْمَسَ وافاه بِأَثْمَارِ
أَيَّامَ حِمِيرَ تَعْلُو نَارُ عِزَّتِهَا مَا أَوْقَدَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ نَارِ

ولاتزال قبيلة خثعم تحلُّ جانباً من السراة فيما بين بلاد غامد الأزدية ، وبلاد شميران القبيلة التي كانت في الأصل من جنب من مذحج من قحطان ، وهي تعد الآن من خثعم .

وذكر ابن الكلبي أن قبيلة خثعم بعد زحزحة القبائل الأزدية لها عن بلادها نزلت مابين بيشة وتربة ، وما صاقب تلك البلاد وما والاها ، فانتشروا فيها إلى أن أظهر الله الإسلام وأهله ، فتيامنت بجيلة ، فانتسبوا إلى أثمار إراش - من كهلان ابن سبأ - وقالوا : نحن أولاد قحطان ، لسنا إلى معدِّ بن عدنان .

وأورد الأشعري اليميني النسابة في كتابه « الباب » سبباً آخر لانتساب القبيلتين إلى اليمن فقال : فاما أثمار واياها ابنا نزار فنسبها غير معروف ، وذلك أن أثمار بن نزار انتسب إلى اليمن ، وذلك أنه كان له ابنان وبنات اسمها سَلَامَةٌ ، فتزوجها إراش بن عمرو بن العوث بن زيد بن كهلان فولدت له ولداً فسمته باسم أبيها أثمار بن نزار ، فولد بجيلة وخثعم ، وقيل : إنَّ بجيلة وخثعم من أهل اليمن ، وإنما نقلوا اسمهم إلى ربيعة بن نزار أنهم حاربوا نهد بن زيد ، فتحالف عليهم نهد وجنب وسنحان وزبيد ، فأضروا بهم ، فانتسب خثعم إلى نزار فقالوا : نحن بنو أكلب بن ربيعة بن نزار ، وكانوا ينسبون إلى أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أقتل - وهو خثعم - وقالت شهران : نحن بنو أثمار بن نزار ، فنصرتهم



رسم تقريبي لدرج الفيل من صعدة إلى مكة ٧٢٥

غزو عدوان ومن والاهم من قبائل نزار . انتهى . ومهما قيل حول اختلاف انتساب خثعم إلى أحد جذمي العرب العظيمين عدنان أو قحطان ، فالقبيلة عريقة الحسب والنسب ، كريمة المحتد ، ذات أصالة ومجد ، أنصفها شاعرها عبدالله بن عبيد الله الاكلمي المعروف بابن الدُمَيْنَةِ ، بل تجاوز الإنصاف إذ قال :

وَحَثَعُمُ قَوْمِي مَامِنَ النَّاسِ مَعْشَرٌ أَعَمَّ نَدَىٰ مِنْهُمْ وَأُنَجَّىٰ لِحَائِفِ
وَأَفْدَىٰ لِمَغْلُولٍ وَأَوْفَىٰ بِذِمَّةِ وَأَوْقَىٰ لِضَيْمٍ عَنِ نَقِيلِ مُحَالِفِ
وَأَجْبَرَ لِلْمَوْلَىٰ إِذَا رَقَّ عَظْمُهُ وَأَسْرَعَ غَوْنًا يَوْمَ هَبَّحَا لِحَائِفِ
إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا عَلَىٰ ثَرْوَةِ الْعَدَىٰ جِهَارًا وَلَمْ يَغْزُوا فُرُودَ الْخَوَالِفِ
وَإِنْ يُسْأَلُوا الْمَعْرُوفَ لَمْ يَبْخُلُوا بِهِ وَلَمْ يَدْفَعُوا طُلَابَهُ بِالْحَسَائِفِ

دور الانتشار والاستقرار : لم تستطع قبيلة خثعم الصمود والبقاء بعد انحدارها في سفوح السراة الواقعة فيما بين وادي تربة وبيشة ، فقد كانت تلك البلاد قبيل ظهور الإسلام ميدان حروب ضارية ، ومجال جلاذٍ مستمر ، بين القبائل العدنانية والقبائل القحطانية التي بدأ الاحتكاك بينها نتيجة لتراحم فروعها الكثيرة في جنوب الجزيرة العربية ، فكان الغلب للعدنانيين بحيث تمكنت أكثر البطون العامرية العدنانية من احتلال تلك البلاد ، والاستقرار فيها بعد المعارك المعروفة باسم أيام العرب التي حدثت بيت الجذمين العظيمين ، كيوم الذَّهَابِ ويوم الحَوِيِّ ، ويوم فَيْفِ الرِّيحِ ، ويوم العُرْقُوبِ ، وما بزغت شمس الإسلام إلا وقد انتشرت فروع عامرية في السهول الواقعة في سفوح السراة من شرق الطائف ، حتى انتهاء سراة جَنَبِ ، بقرب رمل الجزء - الطرف الغربي الشمالي لما عرف حديثاً باسم الربع الخالي ، فأزاحت تلك الفروع قبيلة خثعم للتوغل جنوباً حيث وجدت باتصالها بالقبائل اليمنية - من الأزد ومذحج - بالمناصرة في تلك الحروب ، وفي الانتساب إلى جذم واحد ، وفي التجاور في المنازل ما مكنها من المشاركة في الاستيطان ، وهياً لها الاستقرار حيث تعيش أكثر فروع خثعم الآن ، ممتدة من أعالي فروع وادي تباله في السراة حتى اجتماعه بوادي بيشة ، ثم بالانتشار على ضفاف هذا الوادي العظيم ، وفي حوضه وروافده كوادي ترح ، ووادي هرجاب ، ووادي يَغْرَا .

ونستطيع أن ندرك أن زمن استقرار الخثعميين في هذه البلاد كان نتيجة لحروب تلك الأيام التي حدثت قبل ظهور الإسلام ، وكان النصر فيها حليفاً للعدنانيين ، وقبل حدوث تلك الواقعة التي خلد ذكرها القرآن الكريم في سورة الفيل .

وتدل الآثار البارزة والأخبار المتناقلة بين السكان المحليين في جنوب البلاد أن طريق الحج اليمني القديم الممتد من صنعاء إلى صعدة محترقاً السراة إلى طلحة الملك فسروم الفيض فكنته فالجُسَدَاء فييشة فتبالة فحرة بني هلال ، فوادي تربة إلى اسافل الطائف ، فقرن المنازل إلى مكة هذا الطريق هو الذي سلكه أصحاب الفيل ، كما سلكه قبلهم تَبَانُ أسعد أبي كُرَب الملك الحميري ، الذي تروي كتب التاريخ القديمة خبرَ وصوله المدينتين الكریمتین^(٦) المدينة ومكة ، فلايزال يحمل اسم (درب الفيل) و(درب أسعد الكامل) ولا تزال آثار الاصلاح القديمة بادية فيه كتذليل عقباته ، وتبليط الحشن من أرضه ، ورصف بعض مجاري الأودية التي تعترضه ، وكثيراً ما ينسب السكان تلك الآثار إلى أصحاب الفيل^(٧) .

بل إن من نصوص متقدمي المؤرخين ما يوجي بذلك ، فالهمداني لما ذكر ذات عش الواقعة بقرب كتنة قال^(٨) : ذات عش من أداني القاعة وهناك مات أبرهه ، منصرفاً من غزوة الفيل ، وذات عَشٍّ من أرض كتنة ، والقاعة - وتدعى القاعة الشهباء - من ذات عش إلى بنات حرب^(٩) ، ولا تزال القاعة معروفة وهي قاع فسيح تتخلله^(١٠) أودية وشعاب ، فيما بين طريب ويعرا ، في بلاد شهران ، ومادام أبرهه مات في هذا الطريق فينبغي أن يكون الطريق الذي أتى منه هو وقومه ، إذ يطبق المؤرخون على أنهم حين نزل عليهم البلاء (خرجوا هارين ، يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ، يسألون عن نُفيل ليدلهم على الطريق^(١١)) .

فأين التقوا بنفيل بن حبيب الخثعمي وقومه حين مجيئهم ؟

لقد أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» منازل هذا الطريق ومناهل^(١٢) ، وحدد المسافات بينها من صنعاء إلى مكة ، بل أضاف إلى ذلك ما يوضح موقع كل منزلة ومنهل مما يليها بدرجات العرض ، كما ذكر أصحاب تلك المنازل والمناهل من بطون القبائل ، التي يخترق الطريق بلادها ، فذكر - فيما

ذكر - أن المحجة من صنعاء إلى مكة على طريق نجد اثنتان وعشرون مرحلة ،
ومن البرد خمسة وثلاثون بريداً - تكون أميالاً أربع مئة وعشرين ميلاً - وذكر أن
الاتجاه إلى صنعاء إلى صعدة على سمت ما بين مطلع بنات نعشٍ ومغييها ، ومن
صعدة إلى كُتنة على سمت مغيب الأول منها ، ومن كتنة إلى بيشة على سمت
مغيب الأوسط منها الذي إلى جنبه السُّها ، ومن بيشة إلى المناقب (الريعان) على
سمت مغيب الآخر منها ، الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها . وكان مما ذكر عن
القبائل التي تقع المنازل في بلادها مما تدعو المناسبة لمعرفة سكانه من القبائل :

خولان فيما بين صعدة والعرقه .
ثم وادعة من همدان ، فيما بين العرقه وأزيب .

وبعد هذا المنزل يقع منزل سروم الفيض المعروف باسمه الآن الواقع في بلاد
جنبٍ من مذحج قديماً وفي عهدنا يعد من بلاد قحطان الاسم الذي حل محل
مذحج في العصور الأخيرة .

أما منزلا التَّجَّةِ وكُتنة فالأول في بلاد نَهْدٍ إخوة جَنبٍ والثاني في بلاد شهران من
خثعم .

ثم تمتد المسافة التي يقطعها هذا الطريق عند الهمداني أربعة وتسعين ميلاً في
بلاد خثعم من كتنة إلى ما بعد تبالة على هذا النحو^(١٣) :

من كتنة إلى بينم ٢٠ ميلاً .

ومن بينم إلى بنات حرب ٢٠ ميلاً .

ومن بنات حرب إلى الجسداء ٢٢ ميلاً .

ومن الجسداء إلى بيشة بعطان ٢١ ميلاً .

ومن بيشة إلى تبالة ١١ ميلاً .

وتبالة لأكلب من خثعم ، ثم تنتهي بلاد خثعم ، فالمنزلة التي تلي تبالة كانت
تدعى القريحا ، قرية على وادي رنية وقد خربت^(١٤) ، وكانت لبني هلال - من

بني عامر من قيس عيلان ، وتمتد بلاد هاؤلاء القيسيين إلى قرب مكة ، ومنهم ثقيف بمنطقة الطائف ، ولكن الطريق يدع بلدة الطائف جنوبه حيث يمر بالفتق قرية كانت تقع شرق الطائف قال عنها الهمداني : والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق إلى المغرب ، إذا صليت في الفتق استقبلت المغرب ، فوَقعت الطائف بينك وبين مكة ، ومنها إلى رأس المناقب وهي منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب .

وبعد أن اتضحت المنازل الواقعة في ذلك الطريق ، ومنها مالايزال معروفاً باسمه القديم ، ومنها مايمكن الاهتداء إلى موقعه بالاهتداء بالدرجات التي تشير إلى الاتجاه وتقدير المسافات ، فقد أصبح من الممكن الجزم بأن التقاء جيش أبرهة بالختعميين كان في إحدى المنازل المذكورة أو بقربها ، فالنص الذي ورد فيه ذكرهم ، وتكرر في أكثر كتب التاريخ الموثوق بها لا يُسَمِّي الموضع ، بل لا يزيد على تسمية فرعي خثعم وقائدها ، وشهران وناهس - مع أكلب - منها تتفرع أحياء خثعم ، والثلاثة أبناء عفرس بن حلف بن خثعم ، وشهران أثرى الفروع ، فمنه بنو واهب وبنو الفزع ، ومن واهب قحافة ، ومن فروع أكلب جليحة والهزر . وشهران فرع صغير أيضاً ، وواهب أيضاً ، ولناهس بن عفرس فروع ، وجميع تلك الفروع التي هي جماع أحياء خثعم عند ظهور الإسلام قد انتشرت في روافد وادي بيشة وعلى ضفافه من وادي تبالة شمالاً غربياً حتى حدود بلاد القبائل المذحجية من نهد وجنب وزبيد جنوباً شرقياً ، وقد تكون كتنة الهجيرة - كما دعاها الهمداني^(١٥) - منتهى بلاد الخثعميين في الجنوب ، وبطونهم منتشرة فيما بينها وبين الجنيينة آخر قرى بيشة شمالاً .

ولقد كان لجليحة - الفرع الأكلبي الخثعمي - من منازل ذلك الطريق مايدل على قوة ذلك الفرع وانتشاره في ذلك العهد ، ومنها وادي يعرا الذي نص الهمداني على أن فيه نخلاً وآباراً لجليحة ، وجليحة أيضاً بنات حرب المنزل الذي يتوسط بلاد خثعم فيما بين كتنة وبيشة ، يضاف إلى هذا أن نفيلاً قائد خثعم في حرب أصحاب الفيل من جليحة فهو ابن حبيب بن عبدالله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب - الفرع الكبير - بن جليحة بن أكلب ، ولا بد أن تكون المعركة

وقعت في بلاد هذا القائد ، أو على مقربة منها ، ولعل من محاسن الصدف بالنسبة لهذه القبيلة الكريمة أن يلفظ عدوها الذي حاربها فهزمها أنفاسه الأخيرة في حد بلادها ، في ذات العش في حد القاعة الجنوبي ، والقاعة من بلاد جليحة .

والإشارة إلى فروع قبيلة خثعم قديماً يدعو إلى بسط القول في مسألة ذات صلة بالموضوع لا بالنسبة لهذه القبيلة وحدها ، بل تتعلق بجميع القبائل في الوقت الحاضر ، مما ينبغي لمن يبحث في دراسة انساب القبائل إدراكه :

١ - عندما تكثر فروع القبيلة وتتسع بلادها وتقوى ينشأ عن هذا تميز أحد تلك الفروع بوفرة عدد ، أو بكثرة منازل ومناهل فتتنامى شهرته مما يسبب انتهاء كثير من الفروع الأخرى إليه دون الانتهاء إلى الأصل ، وهذا ماحدث لقبيلة خثعم ، مع أكبر فروعها وهو شهران ، الذي انفرد الآن باسمه ، وبكيانه وبمنازله ، وبعدم انتهائه إلى القبيلة الأم التي قبعت بعد أن جادت بإنجاب تلك الفروع وفروع أخرى انضوت إلى الفرع الشهراني نفسه - قبعت في مساحة ضيقة من البلاد في سراة بيشة فيما بين بلاد غامد وبلاد بلقرن (بني القرن) مجاورة لقبيلة شمران ، التي أصبحت أحد فروعها في العهد الحاضر ، بينما اندمجت فروعها القديمة في (شهران العريضة) كما كانت تعرف قديماً ، مع من انضم إليها من ألفاف القبائل العدنانية التي كانت منتشرة قرب حوض وادي بيشة ، وإذا استعرض الباحث أسماء فروع خثعم قلَّ أن يجد بينها اسماً من الأسماء القديمة ، ولكنه يجد أكثرها معدوداً في (شهران) .

وأعجب من هذا أن بعض القبائل التي كانت تنازع خثعم السيادة على بعض البلاد كقبيلة بني سلول بن عامر^(١٦) قد دخلت في أحد الفروع الخثعمية ، فأصبحت الآن معدودة من شهران .

ويجد الباحث لهذا أمثلة كثيرة بين القبائل العربية المعاصرة ، ومن ذا الذي يجهل ماكانت تتمتع به قبيلة طيء قبل ظهور الإسلام ، وإبان ظهوره من قوة ومكانة وسيطرة على بلاد تعتبر من أخصب البقاع وامنعها في الجزيرة ، إنها الآن لا تعدو قبيلة صغيرة محتفظة باسمها القديم ، تعيش في العراق ، فكيف زحزحت

عن بلادها وأصبحت بالدرجة التي عليها من الضعف؟! إن قبيلة طيء - في الواقع - لم تضعف ولم تغادر بلادها القديمة ، ولكن نشأ منها فروع نالت شهرة وثروة في العدد مما جذب انتهاء الفروع الصغيرة إليها دون القبيلة الأم ، فقبيلة شمر في شمال نجد ، وقبيلة بني صخر في الأردن ما هما سوى فرعين من فروع قبيلة طيء .

٢ - كثيراً ما سبب التجاور في المنازل اختلاطاً في الأنساب ، ومن أمثلة ذلك قبيلة شمران التي ينسبها المتقدمون من علماء النسب إلى صداء من مذحج ، وصداء بنوه منبه والحارث والغلي وهفان وشمران وسنحان ، وبلاد هاؤلاء قديماً ما يعرف بسراة عبيدة الآن ، وجل قبائل مذحج - ومنهم جنب - يطلق عليهم الآن قحطان .

ويظهر أن قبيلة شمران انتقلت من بلادها الأولى وانفصلت عن قومها في عهد مبكر ، فالهمداني حين تحدث عن سكان السراة من الأزدي عد منها الحجر بن الهنو ، ولهباً ، وغامداً ، ودوساً ، وشكراً ، وبارق السوداء ، وحاء ، وعلي بن عثمان ، والنمر ، وحوالة ، وثالة وسلامان والبقوم وشمران^(١٧) . وفي كتاب « الاكليل » عد شمران من خولان بن عمرو من قضاة فقال^(١٨) : أولد خولان ابن عمرو غير من ذكرنا عيس بن خولان ، وجابر بن خولان ، وشمران بن خولان ، وحررض بن خولان ، وإليه ينسب وادي حررض - إلى آخر ما ذكر - ويظهر أن مجاورة شمران قبيلة خثعم كانت من أسباب اندماج القبيلتين واختلاطهما في النسب .

٣ - ومما يوقع اختلاط النسب بين القبائل توافق الأسماء ، كما أوضح ذلك الهمداني إذ قال^(١٩) بعد ان ذكر انتساب الأجدود القبيلة الحميرية القحطانية إلى جعدة القبيلة العامرية العدنانية : وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تتحصل نحوها ، وتتسبب إليها ، رأينا ذلك كثيراً . وأضيف بأنه كثير أيضاً في عهدنا ، ومن أمثله بنو خالد - القبيلة المعروفة - فهم كغيرهم من القبائل في هذا العهد ، لا يجمعهم أصل واحد ، ولكن الاسم كان يطلق على آباء عديدين من قبائل متباعدة في النسب .

وكذا اسم (تغلب) قد عرف به الفرع الوائلي الربيعي العدناني ، واشتهر أكثر من غيره ممن سمي بهذا الاسم ، مثل تغلب بن حلوان من قضاة من قحطان ، وكانت فروع من تغلب القضاة قد انتشرت في وادي الدواسر ، الذي كان يعرف قديماً بالعقيق - عقيق جرم ، ثم بعقيق بني عقيق وعقيق ثمره ، ولانزال بطون من قبيلة الدواسر في عهدنا تنتسب إلى تغلب ، وتوهم أنها من تغلب ربيعة ، وتغلب هذه لم تمتد بلادها إلى جنوبي نجد ، بل انحدرت - بعد ان مزقتها الحرب - شرقاً ، ثم اتجهت صوب الشمال حيث استقرت في الجزيرة الفراتية ، ولكن منها فروعاً انتشرت في تهامة ، ولعلها بقيت هناك منذ عهدنا الأول كبنو فرسان الذين تسمى باسمهم الجزيرة الواقعة بمنطقة جازان^(٢٠) ، وبني شعبة الذين كانوا في القرن السابع الهجري وما حوله يعيشون في ضواحي مكة الجنوبية ، ثم انتقلوا في عصور متأخرة إلى جنوب تهامة حول البلاد التي عرفت باسم (الدرب) و(درب بني شعبة)^(٢١) فهناك من النساين من يرى أنهم من تغلب كابن سعيد المغربي الأندلسي المتوفى سنة ٦٦٠ (٢٢).

الرياض : حمد الجاسر

الحواشي :

- (١) « السيرة النبوية » لابن هشام ج ١ ص ٤٦ - « تاريخ ابن جرير » ١٣٢/٢ طبع دار المعارف بمصر ، « الكامل » لاس الأثير ج ١ ص ٤٤٢ ، « البداية والنهاية » لابن كثير ١٧١/٢ .
- (٢) « معجم ما استعجم » ص ٥ إلى ٥٨ الطبعة المصرية سنة ١٣٦٣ تحقيق مصطفى السقا .
- (٣) نفس المصدر ص ٥٨ و « معجم البلدان » رسم (بارق) .
- (٤) عن اطلاق اسم (بني مالك) على (بجيلة) انظر كتاب « في سراة غامد ورهرا » - ٤١٦ - .
- (٥) انظر عن نسبة هذا الجبل للصوي الزاهد إبراهيم بن أدهم مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٢٨٣ .
- (٦) « السيرة النبوية » ١٩/١ .
- (٧) انظر « العرب » س ١٨ ص ١٠٢٤ - صنان - .
- (٨) « معجم ما استعجم » رسم (عش) .
- (٩) « صفة جزيرة العرب » - ٤٢٦ - طبعة دار البيامة .
- (١٠) « العرب » س ١٨ ص ١٠٢٦ .
- (١١) « السيرة النبوية » ٥٣/١ ومصادر الحاشية (١) .
- (١٢) « صفة جزيرة العرب » - ٣٣٨ - .
- (١٣) المصدر نفسه - ٣٣٩ - .
- (١٤) المصدر نفسه ١٦٢ ، ٢٥٨ ، ٤٣٢ - وحل محلها في المؤلفات التي بعد عهد الهمداني كالادريسي في ←

منتخبات «السيد» ... وملاحظات

المنتخبات بقلم صاحب السعادة الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة المصرية - الجزء الأول ، يطلب من مكتبة الأنجلو المصرية . دار النشر الحديث ١٩٣٧ (١٥ فبراير) - ص ٣٣٢ + ٣ . مطابع أحمد الصاوي محمد .

١ - جمع مواد الكتاب إسماعيل مظهر .

٢ - المنتخبات: مقالات كتبها السيد في جريدة «الجريدة» .

٣ - رتبها (الجامع) تأريخاً بدءاً بالعدد ٣٤٣ - ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٨ وانتهاءً بالعدد ١٦٦٩ في ٤ سبتمبر ١٩١٢ .

٤ - الاتجاه الغالب على الموضوعات الاجتماعية ، عن التعليم والمرأة والأخلاق والسلوك والعادات . . . ، فيما يجب أن يكون ، وإدانة ماهو كائن من تأخر . . . - فهو أقرب إلى المعلم أو المرابي الشاعر بالمسؤولية عن مجتمعه مقارناً مع الغرب خاصة .

وللسياسة نصيبها من الكتاب ، في مواد من الوطنية والأحزاب والاستقلال والانكليز (وكرومر خاصة) - وهو فيها وطني معتدل ، يراعي الطرف المحيط أكثر

→ « نزهة المشتاق » الرويثة ووصفها بانها قرية كبيرة فيها عيون جارية « العرب » ص ٥ ص ١٤ - ويظهر أنها موقع مدينة ربية .

(١٥) « صفة جزيرة العرب » ٢٥٨ - إذ هناك أربعة مواضع كل واحد يدعى (كنة) وانظر « العرب » ص ١٨ ص ١٠١٧ .

(١٦) انظر « معجم البلدان » رسم (مطلوب) و(المعمل) وكتاب « طنقات فحول الشعراء » لاس سلام ترحة العجير السلولي .

(١٧) « صفة جزيرة العرب » - ٢١١ - .

(١٨) ج ١ ص ٧٤٧ - الطبعة الثانية

(١٩) « صفة جزيرة العرب » - ١٨٠ - .

(٢٠) لعل أوفى ما ذكر عن سب (فرسان) ماورد في كتاب « التعريف بالأنساب » للاشعري النسابة اليمني ، ولا يزال الكتاب مخطوطاً .

(٢١) انظر عن بني شعبة « العرب » ص ٨ ص ٨٩٢ .

(٢٢) « نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب » لاس سعيد المغربي - ٦٠٣ ، ٦٤٠ - .

عما يمكن أن يحمل من عناصر الثورة .

٥ - أما اطلاعه فواسع ، وثقافته العربية والغربية كذلك ، ومع أنه خريج كلية الحقوق المصرية مع إقامة أو دراسة في باريس . . . فإن لغته العربية سليمة ، وثقافته الأدبية العربية كذلك ومحفوظه من الشعر العربي . . .
ويُكِنُّ لتولستوي (ص ص ١٩٢ - ١٩٦) تقديراً عميقاً .

٦ - ويجد دارس (الأعلام) مادة عن (قاسم أمين) و(أحمد عرابي) . ويجد دارس (السياحة): باريس، لندن، و(أسبوع في المدينة المنورة). في ست حلقات (ص ص ٢٢٩ - ٢٥١) . وقال ص ٢٦١ : (السيد جمال الدين الأفغاني، لزمته في الأستانة - شهراً وبعض شهر...).

٧ - الوطنية معروفة ، ولكن (القومية) قلقة لديه ، وقد تعني - عابراً - العرب ، ولكنها - في الغالب الأعم الأرسخ - تعني المصرية (تنظر ص ١٠٩ ، ١٤٢ ، ٢٦١ ، ٣١٦).

ومثلها (الامة) (ص ٣١٤) - وتقرأ (ص ٣١٤): (إن كل أمة تطلب إلى مصر أن تبقى إلى الأبد مبعدة عن استقلالها، إنما هي أمة تخدع نفسها، لأن هذا المرام لا يرام إلا من لقيف من الناس ليس لهم ما للأمة المصرية من القومية العتيقة، والوطن المحدود، والنظامات الاجتماعية، حين كان العالم لا يزال قليل العلم بمقتضيات النظامات الاجتماعية. أمة كأمنا قد ولدت التمدن مرتين، لا ينبغي للتمدن الحديث أن يطمع في التوغل في إذلالها وإبعادها عن أقل الأقدار لمطامع الأمم، وهو الاستقلال. من العيب العظم أن تداجي الأمة في أمر استقلالها...).

وفي ص ٣١٦: (إن أول معنى للقومية المصرية هو تحديد الوطنية المصرية والاحتفاظ بها والغيرة عليها غيرة التركي على وطنه، والانكليزي على قوميته...).

٢ - ص ٧٢ «السيدة الأمريكية» (تتعرف بالأرسطوقراطيين) (العائلات

الشريفة)... - ٢٢ نوفمبر ١٩٠٨ .

شرحه للكلمة الأجنبية يدل على قرب العهد بتعريفها ، وكأنه يستعملها لأول مرة ، أو في المرات الأولى للاستعمال - ولأحظ الطاء التي ستكون لدى التداول تاء .

٣ - ص ٧٧ : (فرغ المتنورون (...)) من المناقشة في كون التعليم واجباً أو جائزاً...)) المتنورون من الكلمات التي كانت سائرة في بداية القرن العشرين واستمرت حيناً ، وهي في أصلها ترجمة للكلمة الفرنسية ، وخلفها (رنة) دلالة التنوير الفرنسي في القرن الثامن عشر الذي مهد للثورة ، وفي العصر فولتير وديدور وروسو ...

ثم انقرضت شيئاً فشيئاً وحل محلها: المفكرون والمثقفون ...
وقد انقرضت من قبل الفرنسيين إلا ما بقي منها مصطلحاً يدل على حال وزمن معينين .

٣ - ص ٩٨ : (الحالة النفسية «البيسيكولوجية»...) - ٢١ يناير ١٩٠٩ شرحها يدل على البدء في استعمالها . ويتكرر الحال ص ٣١٩ - ٣ سبتمبر ١٩١٢ .

٤ - ص ٩٨ : (الوسط) - وضعها بين قوسين لجدة العهد باستعمالها وهي ترجمة للكلمة الفرنسية milieu ، واستمرت تستعمل على وجه محدود لأن كلمة (البيئة) هي التي غلبت عليها .

٥ - ص ١٠١ : (الأرغول ... الزمار) - ٣٠ يناير ١٩٠٩ ، ص ١١٠ : (الزمار والأرغول) - ٣ مارس ١٩٠٩ .

٦ - ص ١٠٦ : (المرسح ... مراسم التمثيل) - ٣٠ يناير ١٩٠٩ / ص ١٤٤ (مراسم اللعب) - ٢٦ يولييه ١٩٠٩ .

استعمل المرسح والمراسح تبعاً للاستعمال اللبناني في لبنان وعلى لسان الفرق التي انتقلت تعمل في مصر .

٧ - ص ١١٥ : (تلك هي سخرية صرفة) - ١٤ مارس ١٩٠٩ .

يرى اللغويون أن الصحيح : سخرية صرف - ولكن التأنيث مع المؤنث خاصة ، غلب وساد ، واستعمال السيد هنا ينفع من يؤرخ للاستعمال السائد (الخطأ) .

ولابد من أن يكون السبب في تأنيث الصرف مع المؤنث ، وتذكيره مع المذكر يرجع إلى أن استعمالنا الحديث جاء ترجمة للاستعمال الأجنبي (الفرنسي) .
ومثل الصرف والصفة : البحث والبحتة .

٨ - ص ١٣٢ : (يخرج بعضهم من بيته إلى القهوة القريبة . . .) - ٣ مايو ١٩٠٩ .

استعمل (القهوة) على الشائع لديهم ولدينا بدل (المقهى) .

والقهوة فيما يشرب وفيما يقصد عند الفرنسيين واحدة Café .

٩ - ص ١٣٣ : (قال سيسرون . . .) - ٣ مايو ١٩٠٩ .

يقصد شيشرون ، ولفظه كما يلفظه الفرنسيون بالسين ، وهو في لغته الأصلية كيكرون .

١٠ - ص ١٤٨ : (. . . إلى العمل في السياسة بالذات . . .) - ٢٦ يولييه ١٩٠٩ لتأريخ استعمال (بالذات) في الكتابة الحديثة .

١١ - ص ١٤٥ (صديق من فرنساويين يسبح الآن في أميركا) .

نقول اليوم فرنسي ، وكان أهل النهضة يقولون : فرنساوي ، وكلمة (ساح يسبح سياحة) يمكن أن تهم صانع المعجم فيما دخل عليها من تطور بسبب الاتصال بالغرب . ولها أصل : ساح الماء : جرى على وجه الأرض . والسياحة : الذهاب في الأرض للعبادة والترهب . . . ثم . . .

١٢ - ص ١٨٤ : (مرت بنا سنو دراستنا . . .) - ١٣ يناير ١٩١٠ .

١٣ - ص ٢١٢ : (. . . اتخذناه عنواناً لهذه المقالة) - ٤ فبراير ١٩١١ .

لمن يؤرخ استعمال (المقالة) مصطلحاً . واستعماله هنا يدل على توطده
وشيوعه .

١٤ - ص ٢٤٨ : (استمساك العرب بمبادئ العدل) - ٢٩ من أغسطس
١٩١١ ، وتكرر .

ص ٢٦١ : (مارأيت قوماً أقل استمساكاً بشخصيتهم القومية من المصريين) -
٢٤ ديسمبر ١٩٣١ .

١٥ - ص ٢٥٥ : (لا أنكر أن عرابي أساء وطنه وأمته) - ٢١ سبتمبر
١٩١١ . يريد أساء إلى ...

١٦ - ص ٢٢٢ : (الانتحار) - ٣١ مايو سنة ١٩١١ . لمن يؤرخ لاستعمال
كلمة (الانتحار) . ومعلوم أنها ترجمة لكلمة أجنبية (فرنسية) فيها انتحر ،
وانتحرار .

أما لدينا فلم أر غير: (قتل نفسه) .

١٧ - ص ٣١٨ : (داخلة في بروجرام أعمالها) - ٢ سبتمبر ١٩١٢ . بروجرام
تعريب للكلمة الأجنبية (الفرنسية) Programme ظلت تستعمل تقريباً إلى أن حلت
محلها كلمة (منهج) ترجمة لها دون أن تقضي عليها .

١٨ - ص ٣١٨ : (يجب على الكاتبين أن ينتهزوا الفرصة لينشروا في الأمة
عقيدة الاستقلال) - ٢ سبتمبر ١٩١٢ .

كانوا في مطلع القرن - فيما يبدو - يفضلون استعمال الكاتبين وكأنها (أرقى)
من الكتاب وانتقلت إلى العراق ، وهكذا كانت يستعملها لدينا (محمود أحمد
السيد) .

١٩ - ص ٣٢٤ : (لا يجرأ أحد في هذه المدينة أن ينكر على أحد...) - ٤
سبتمبر ١٩١٢ الصحيح : لا يجرؤ . والذي وقع للسيد ظل يقع لكثيرين على
اختلاف المكان والزمان ... ويجرؤ على ..

٨ - ص ٣٧ (مادام الكتاب إسماعيل صبري باشا والمولحي وشوقي وحافظ والمطران ، وغيرهم ممن رزقوا سعة الخيال ؛ الذين لديهم المعدات اللازمة للقصصيين ، مادام هؤلاء لا يريدون أن يصنعوا من القصص ما ينقي أخلاق الأمة من أدران الطبائع الاستبدادية في قالب غرامي ، يستهوي النفوس لقراءتها ، وماداموا يعتذرون في كل وقت بعدم الوقت ، مكتفين بما يخرجونه لعالم الأدب من الحوليات التي قل من يفهمها من الناس الذين كان من حقهم أن يستفيدوا منها حكمة بالغة أو زاجر للطبع القاسي ، وصارفاً عن الرذيلة للأخذ بالفضيلة ، ماداموا كذلك ، يكتفون في مجالسهم بنقد أساليب الكتابة ومعاني الشعر ومبانيه ، من غير أن يقبلوا على عمل ما يقدرون عليه لمصلحة أمتهم وخدمة الإنسانية، فليس من الغريب أن تتصدى جرائدنا اليومية في عطلة الصيف إلى الأبحاث الأخلاقية، وإن كانت كتابتها في هذا الباب لا تغني غناء القصص المصرية، التي لا أظن كتابنا بعد الدعوات المتكررة الشفهية والتحريرية ، يقيمون على القعود عن تأليفها) - ٣ أغسطس ١٩٠٨ .

دعوة مبكرة جداً إلى مزاوله القصة ، وبيان فوائدها الوطنية خلال الإمتاع ... يوم لم يكن محمد حسين هيكل قد فكر بكتابة «زينب» .

والكاتب في موقف الموجه ، والناقد التوجيهي بحكم اهتمامه الاجتماعي وعمله السياسي واطلاعه على القصص العالم وفي طليعته قصص تولستوي .

وفي استعمال (مادام الكتاب ... فليس ...) مثل لمن يبحث في تاريخ استعمال (مادام ..) (في العصر الحديث) بمعنى إن بقي الكتاب ... فليس ، وبمعنى بما أن ... ولأن ... ، وتأتي مع ذلك في بدء الجملة .

ويرى النحويون أن (مادام) من الأفعال الناقصة (أخوات كان) تفيد المدة الزمنية وهي تدخل على المبتدأ والخبر ، ولا تأتي هي وجملتها في أول جملة .

والآية الكريمة: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً﴾ أي مدة دوامي حياً والمثل النحوي: (أعطت مادمت مصيباً درهماً أي أعطت مدة دوامك مصيباً درهماً) .

والملاحظ أن في عاميتنا ما يتصل بالاستعمال الحديث – الذي رأينا مثله على قلم السيد – من معاني الشرطية واعتماد الثاني على الأول دون نظر إلى الدوام والزمن .

٢٠ – وتساءل: لم «المنتخبات» وليس «المقالات» كلها؟ ولم تبدأ بمقال العدد ٣٤٣ - ٢٥ من أبريل سنة ١٩٠٨ وليس بالعدد الأول في ٩ مارس ١٩٠٧؟ فإذا كان المقصود بالجمع خدمة المؤرخين وجب أن تكون الخدمة كاملة وأفكار السيد كلها محط اهتمام المؤرخين في خيرها وشرها ؛ وإذا كان المقصود خدمة الباحث الأدبي فإن الباحث الأدبي ينطلق من بدء الأشياء ويسير مع تطورها ومقالات السيد كلها من نسق لغوي متقارب في البناء واللغة و(اللغة السياسية) خاصة (والحذر) في الأداء كذلك؟

لا بُدَّ من أن يكمن السبب فيما جرى في مصر من تطور ولاسيما بعد ثورة ١٩١٩ في المفهوم الوطني والقومي ، والموقف من الانكليز خصوصاً ، والموقف من اللغة العربية كذلك . ولم تكن مواقف (السيد) كلها على الدلالة المطلوبة من الوطنية واللغة والموقف من الانكليز . لقد كان من حزب الارستقراطية ، وهو وحزبه يمالئون الانكليز في أخفِّ ما تخفف به اللهجة نحوهم ، وقد تبنى في السياسة سياسة اللورد كرومر ، وفي الدعوة إلى اللغة العامية دعوة السير وليم ويلكوكس !!

٢١ – ونلاحظ أن للمنتخبات جزء ثان ، وأن إسمايل مظهر دأب على الاختيار والانتخاب في عمليتين آخريين هما: «صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية» و«تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع» . إن إسمايل مظهر يختار ويتخب ولا يجمع المقالات كلها جمعاً كاملاً . . . في أجزاء أو في موضوعات شاملة ويبقى السؤال والجواب في تعليل ذلك حيث هما .

بغداد : علي جواد الطاهر

٢٧ عاما في دنيا الصحافة

[كتبت للعدد الـ ١٠٠٠ من مجلة «البيامة» الصادر بتاريخ ١٩/٨/١٤٠٨هـ] .

حديث المرء عن نفسه - في مقام الإطراء والثناء - من الأحاديث السمجة الممجوجة ، مالم يتناول جانباً من جوانب أعمال تلك النفس لغرض إبراز حقيقة من الحقائق التي قد يعلّق في الأذهان حياها ما ليس صحيحاً ، فما أرى هذا النوع من الأحاديث إلا محموداً ، وخاصة حين تدعو المناسبة إلى ذلك .

وهذا ما دفعني للتحديث بإيجاز عن بعض الجوانب المتعلقة بإنشاء هذه المجلة الحبيبة إلى قلبي ، استجابة لرغبة أستاذ كريم أُجِلُّه وأحمِلُ له في نفسي من التقدير ما يوجب عليّ تحقيق رغبته .

في صبيحة يوم من أيام ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ وقد تسنى لي الاجتماع بسعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - إذ كان ولياً للعهد ، وكان قد أمر بتقلي من (مراقبة التعليم في الظهران) قبل ثلاث سنوات لأتولّى (إدارة التعليم في نجد) ، ثم نُقِلْتُ من هذا العمل بأمر ملكي حين أُمر الشيخ محمد بن ابراهيم بإنشاء معهد ديني علمي في الرياض ، لِأَسَاعِدَ في إنشاء هذا المعهد ، فكنت على صلة حسنة بسمو ولي العهد تلك الأيام ، فأظهرت له في صباح ذلك اليوم ضرورة إيجاد صحيفة في مدينة الرياض . وكان - تغمده الله بواسع رحمته - ذا رَغْبَةٍ قوية في فعل كل ما مِنْ شأنه تقدّم هذه البلاد وإصلاحها في مختلف مرافقها الحيوية ، وكان ذا نفسٍ سَمَّحَةٍ ، سريع الاستجابة لفعل الخير ، فما كان منه وقد علم برغبتني بأن أقوم بالإشراف على هذه الصحيفة إلا أن أمر بالكتابة إلى وزير الداخلية وإلى وزير المالية بالكتابين رقم ٧١٨٢ و ٧١٨٣ وتاريخهما ١٣/٤/١٣٧٢هـ بما صورته :

من سعود بن عبدالعزيز إلى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد طلب منا الشيخ حمد الجاسر السماح له بإصدار صحيفة في الرياض باسم (الرياض) فوافقنا على ذلك .

فأنتم إن شاء الله تعاملون الصحيفة فيما يرد لها من ورق وخلافه كما تعاملون الجرائد والمجلات الداخلية ، وسيرد لها مطبعة ، فأنتم أعفوها من الرسوم .

والسلام ..

التوقيع

سعود

كان أن اتصلت بوزارة الداخلية ويتولاها في ذلك العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل فأحيل الكتاب إلى وزارة الخارجية ، إذ (قلم المطبوعات) كان من فروع تلك الوزارة ، وهو الذي يمنح الإجازة بإصدار الصحف ، وكان مقرها في جدة ، وبعد الاتصال بها طلبت مني إحضار كفيلين ، أحدهما غارم ، والآخر يتعهد بإحضاري في أي وقت يراد مني فيه الحضور . ولم أكن أعرف أحداً في هذه المدينة الكريمة سوى أشخاص لا تمكنهم أعمالهم الرسمية من تحقيق رغبتني ، فيما لو طلبت منهم كفالتي ، إلا أنني كنت مدعواً للغداء عند الشيخ محمد بن علي الببزي قاضي تلك المدينة ، وكان من أساتذتي في المعهد السعودي في مكة المكرمة سنة ١٣٤٩ وما بعدها ، ومن بين المدعويين أخوه أحمد ، وعبدالعزیز بن حمد العبدلي من وجهاء أهل عنيزة ، وحين علما بالأمر أبادياموافقتها على أن يكفلاني لدى قلم المطبوعات ، فكان ذلك ، ومُنِحْتُ رخصةً بإصدار صحيفة باسم (الرياض) تصدر بصفة موقته شهرية ، ثم أسبوعية ، فيومية .

عدتُ إلى الرياض وجمعتُ بعض موادٍ للعدد الأول من هذه الصحيفة التي رأيت الإسراع بإصدارها خشية أن يحدت من الأمور مايجول دون ذلك ، وسافرتُ إلى مصر ، وهناك اجتمعت بأبنائنا من الطلبة الذين يدرسون في الجامعة ودار العلوم وكليات الأزهر ، ورأيت أن أكل رسم الأسس التي ينبغي أن تسير عليها هذه الصحيفة إلى أولئك الشباب الذين هم بدون شك أكثر خبرةً وأوسع معرفة وإدراكاً لما ينبغي أن تكون عليه الصحافة الناشئة في مثل بلدنا ، وهكذا وجدتُ في أولئك الأبناء ماكنت أتوقع ، فقد توالى اجتماعاتهم في أحد منازلهم في

شارع يوسف جوهر في الدقي ، حيث رسموا الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها هذه الصحيفة ، من حيث الشكل والمنهج ، ثم هَيَّأُوا بما كتبه ما أضافوه إلى ما أحضرته معي من مقالات ، وفي (مطابع دار الكتاب العربي) تم الاتفاق على طبع العدد الأول من مجلة (الرياض) ، فصدر ذلك مصدراً بكلمة كتبها بعنوان (هذه الصحيفة : يدُ بيضاء لسمو وليِّ العهد المحبوب) أوضحت فيها ملامح عمَّا توخاه المشرفون على إصدارها من الإسراع إلى ذلك بهذه الصورة ، وما جاء في تلك الكلمة : فأصدرنا هذا العدد ، ولم نُؤثِّرْ أَنْ يَصْطَبِغَ بهذه الصبغة الأدبية التي قد تروق لفئة خاصة - غير أنَّ الظروف والملابسات قَسَرَتْنَا قَسْرًا سنكون عنه - إن شاء الله - بمنجاة ومنأى ، حينما يُمَيِّئُ اللهُ الوسائل اللازمة ، فنرى « مطبعة الرياض » تلقف ما يقدم لها من نتاج الأفكار ، وقرائح الفهوم ، فتحيله أكلاً شهيئاً طريئاً ، وشراباً سائغاً عذباً ، يُرَبِّيُ العقول وينعش الأرواح . ونرى قراء « الرياض » في كل مدينة من مدن هذه المملكة العظيمة ، وفي كل قرية من قرأها - بل في كل شعب من شعابها ، وفي كل وادٍ من أوديتها - يجودون لها بكل جديد طريف ، عن دراية ومعرفة ، وبصيرة ورشد ، ويجدون فيها وفي غيرها من صحفنا مِنْ غِذَاءِ الأرواح والعقول كل نافع مفيد . حينما نرى ذلك - وهو قريب إن شاء الله - بفضل ما يبذله سمو ولي عهدنا المحبوب في جميع السبل التي تعود على الأمة بالصلاح - تصبح « الرياض » لا صحيفةً أسبوعية فحسبُ ، بل يومية تتجاوب اصداؤها في أنحاء المعمورة ، مدوية بما يطيب ذكره ، ويحسن نشره ، عن هذه المدينة السعيدة ، بل عن هذه الأمة المجيدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

تتلوها كلمة بعنوان (سبيل الدعوة إلى الحق) للشيخ عبدالعزيز بن باز المدرس في معهد الرياض ، فأخرى بعنوان (حاجة الإسلام إلى الدعاية) للشيخ عبدالله الخياط مدير مدرسة الأمراء في الرياض ، فكلمة الأستاذ خليل الهراس أحد الأساتذة المصريين المدرسين في معهد الرياض ، فمقطوعات شعرية قديمة وحديثة ، فدراسة أدبية للأستاذ ناصر الحمد المنقور ، معتمد المعارف في نجد ، فمقال للأستاذ شكيب الأموي عن (القوة والعلم أم الضعف والجهل) فوصف

رحلة في داخل نجد ، يتلوها نقد لكتاب « تهذيب الصحاح » في اللغة الذي طبع على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان وصدر تلك الأيام ، ونقد آخر لكتاب « طبقات فحول الشعراء » ثم بحث لغوي للشيخ يوسف الضبع ، فوصف مخطوط نادر ، فمقال طبيّ بعنوان (عالج نفسك بدون طبيب) للدكتور يوسف الحُمَيْدَان ، فمختارات وتعليقات ، وينتهي العدد بصفحتين عن أبناء الحركة الثقافية .

ويتوالى نشاط أو تلك الأعبة من أبنائنا الطلبة ممن أصبحوا فيما بعد يتسّمون أعلى المراكز في الدولة من وزارات وغيرها ، منهم بل أبرزهم وأنشطهم بالنسبة للعمل في هذه الصحيفة في أول نشأتها اثنان هما : ناصر المنقور ، وصالح الحُصَيْنِّ ومن أو تلك عبدالرحمن أبو الخليل ، وعبدالعزيز السالم ، ومحمد بن عبدالرحمن الفُريج ، وعبدالرزاق الرّيس ، وعبدالرحمن بن سليمان آل الشيخ ، وحسن المشاري ، وإبراهيم العنقري ، وعبدالله الطريقي ، إلى آخرين لا يتسع المقام لذكر أسمائهم من مشاهير الكتاب والشعراء الذين في استطاعة القارئ أن يرى آثارهم فيما نشرته المجلة في سنتيها الأوليين .

لقد طبع العدد وتقدمت بنسخ منه لسعود - رحمه الله - طالباً الأمر بنقله من القاهرة إلى الرياض بواسطة الخطوط السعودية ، وهو لا يزيد على مئة كيل ، ولكنني فوجئت بكتاب من الديوان بتوقيع رئيس الديوان ملخصه : إن سموه أمر بما يلي :

١ - عدم استعمال اسم (الرياض) للمجلة التي أصدرتم لأن هذا الاسم منحه سموه الشيخ عبدالله بلخير مستشار سموه .

٢ - يمكنكم أن تنقلوا المجلة على حسابكم .

٣ - سوف لا يُسمح بتوزيع أي عدد من المجلة وهي تحمل اسم (الرياض) .

أصبح لا مندوحة لي من تغيير الاسم ، بعد طبع أوراق وظروف ودفاتر كلها

تحمله ، مع الإعلان في جريدة « البلاد » السعودية عن (الرياض) وتكاليف ذلك لا يعتبر يسيراً بالنسبة لحالتي في ذلك الوقت .

وكان نظام المطبوعات إذ ذاك مَرِناً من حَيْثُ استبدال الاسم بغيره ، إذ تُنصُّ إحدى موادّه على أن لصاحب المطبوعة (جريدة أو مجلة أو غيرها) أن يغيّر الاسم بما يختاره من الأسماء ، بشرط ألا تكون مستعملة الآن ، أو أنه لم يَمُضِ على استعمالها في الماضي أكثر من عشر سنوات . فقدمت طلباً بتغيير الاسم إلى (اليمامة) لعدم استطاعتي استعمال الاسم الأول ، ولكن ما الحيلة والمجلة قد طبعت ، والمبلغ المصروف لطبعها وإن كان قليلاً إلا أنه بالنسبة لي في ذلك الوقت يعتبر كثيراً؟! ليكن تغيير الغلاف والورقة الأولى التي تحمل اسم (الرياض) وما يقابلها في المزمرة ، وأجرة إعادة طبع الغلاف مع الورقتين المذكورتين أيسر من طبع المجلة كلها ، فكان ذلك . ولكن بعض المقالات كتبت لمجلة الرياض وورد اسمها فيها ، وليكن هذا فما الذي يضير؟!

أُرْسِلَتِ المِجلَةُ بعد هذا التعديل مجزأة مع بعض المسافرين ، فوصلت إلى الرياض ووزعت . وكانت الاشتراكات فيها لم تتجاوز مئة نسخة ، والباقي - من الألف - بيع ، سوى ما يقرب من مئتي نسخة .

وبعد ذلك تلقيت كتاباً من وزارة الخارجية ينصُّ على أنه جرى رفع طلب تغيير الاسم إلى المقام السامي ، ولكنه صدر بدون الموافقة على الاسم الذي اخترته إلا بإضافة كلمة أخرى (يمامة نجد) أو (نجد اليمامة) وكان بيني وبين الأستاذ خير الدين الزركلي - رحمه الله - صداقة ، وكان الذي يتولى وكالة الخارجية ، وهو الذي وقع كتابها ، وقد ألحق به في ورقة منفصلة كتابة ورد فيها : (هذا ما ورد من المقام السامي ولن يعجزك وجود مخرج من ذلك) . كان المخرج الاستمرار على اسم (اليمامة) وإن كان اسم الرياض الذي اخترته أولاً بقي يداعب مخيلتي ، وأتمنى في كل مناسبة صدور صحيفة في هذه المدينة باسمها ، إلا أن المعارضة في ذلك تأتي من جانب قوي كان هو المشرف على شؤون الصحافة ، وهو الأستاذ عبدالله بَلْخَيْرٍ ولم يَمُضِ يَسِيرُ زمن حتى قامت مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر ، التي يملكها ثريٌّ كبير مشهور في مدينة جدة بإصدار

مجلة باسم « الرياض » ، ولما حادثت الشيخ عبدالله بلخير في الأمر ، وكيف أُمنع من استعمال اسمٍ مُنِحَتْ به رخصة من قلم المطبوعات ويسمح لغيري باستعماله؟!

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْ حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ!؟

أجاب : بأنه صاحب الحق في الاسم وقد (أعاره) مؤسسة الصحافة !

كان الشيخ بلخير قد قرر القيام بمشروع طباعي صحفي ضخم ، ومنحته الدولة لتلك الغاية أرضاً واسعة تتوسط مدينة الرياض ، تُحَدُّ جنوباً من بيوت آل فهد (شارع القطار فيما بعد) إلى ما عرف باسم (شارع الجامعة) شمالاً ، وغرباً من (طريق المطار) إلى قرب مؤسسة الكهرباء شرقاً ، وأحضر إلى الرياض من لبنان خبيراً بشؤون الطباعة هو جورج صيقلبي ، فمكث مدة في الرياض وفي الظهران درس خلالها ما تتطلبه البلاد من مطبوعات وما يلزم لها من آلات طباعة فكان أن أحضرت بعض الآلات إلى ميناء الدمام ، وبقيت في صناديقها فترة من الزمن .

وبعد أن توقفت مجلة « الرياض » التي صدرت في جدة كانت فكرة إصدار صحيفة في مدينة الرياض باسم الرياض لاتزال تراودني .

وأذكر أنني في إحدى المرات عبَّرتُ لجهة مسؤولة عن تلك الفكرة ، فوجدت استحساناً بل موافقة ووعداً بالعمل على تحقيقها ، فكان أن تقدمت بطلب ذلك ، وبعد أن تمت الموافقة ونلت تصريحاً برقم ٢/٧٦٧٨ تاريخ ١٣٧٦/١٢/١ هـ هذا نصه :

تصريح

بناء على الأمر الملكي الكريم برقياً برقم ٢٢٦٥٨ في ١٧/١١/١٣٧٦ هـ بالموافقة الملكية العالية على طلب الشيخ حمد الجاسر اصدار صحيفة أسبوعية في الرياض باسم (الرياض) تكون خاضعة لنظام الصحافة وتتجنب الدخول في السياسة أو المهاترات الصحفية .

لقد أخذ التعهد على الشيخ حمد المذكور واعطى هذا التصريح لاصدار صحيفة باسم « الرياض » في الرياض ، . ونرجو أن تقوم بواجبها في خدمة الحكومة والبلاد بكل نزاهة واطلاص .

أمير الرياض

توقيع

الختم

صورة للديوان الملكي للبرقيات

بدأت بالاستعداد لإصدار الصحيفة ، وأعلنت ذلك في صحيفة « اليامة » ولكنني فوجئت من الجهة المسؤولة عن شؤون المطبوعات بمعارضة شديدة ، لم أستطع التغلب عليها ، إلا بعد أن وكلت الصحافة في عهد فيصل - رحمه الله - إلى مؤسساتٍ مُنحت امتيازاً إحداها مع عدد من الإخوة الذين اخترتهم ، وهي (مؤسسة اليامة الصحفية) .

لقد صدر العدد الأول أول ما صدرت صحيفة اليامة في عهدها الأول . بتلك الصورة التي أوضحتها من حيث تنوع الموضوعات فيه ، تنوعاً كان مثار نقدي من كثير من المهتمين بالشؤون الصحفية ، إذ لم تتضح من خلالها أهداف الصحيفة ، مع أن أولئك الشباب من ابنائنا ، ومنهم من كان قد أكمل دراسته قد عُنوا بهذه الناحية الأساسية ، ولكن للظروف حكمها في بلاد لم ينتشر فيها التعليم الحديث ، ولا تزال نظرة كثير من أهلها إلى الصحافة نظرة استرابة ، بل استهجان من بعضهم ، ولهذا كان من أهم الوسائل التي أريد منها محاولة تغيير تلك النظرة الاستعانة بنشر آراء العلماء وأفكارهم في المجلة ، ثم التدرج فيما ينشر بالطريقة الممكنة نحو الغاية المتوخاة ، التي هي الاهتمام بالنواحي الاجتماعية بصفة عامة .

كان من أول ما فكرت فيه بعد الموافقة على السماح لي بإصدار الصحيفة إيجاد مطبعة لها في مدينة الرياض ، وكنت إذ ذاك مساعداً لمدير المعهد ، الذي يتولى رئاسته الشيخ محمد بن ابراهيم ، ويضم عدداً كبيراً من المدرسين والطلاب ، فاستطعت أن اجمع منهم مبلغاً من المال لغرض انشاء شركة باسم (شركة الطباعة والنشر الوطنية) وأردت شراء مطبعة مستعملة من مصر ، ولكن الأستاذ محب الدين الخطيب وهو خبير بهذا الشأن نصحني بأن اشتري آلات حديثة وهياً لي

الاتصال بإحدى الشركات التي تتولى توريد آلات الطباعة من ألمانيا ، وبواسطة وكيلها في بيروت (سابا وشركاه) تمَّ شراء آلات مطبعة كاملة وبدأ وصول بعضها إلى الرياض .

وفي تلك الأثناء تم طبع العددين الأولين في مصر لاتخاذهما أنموذجاً لما يطبع بعدها من أجزاء ، وكنت قبل طبعها قد اجتمعت ببعض الأخوة المشرفين على إدارة مطبعة (البلاد السعودية) في مكة فعلمت أنه بإمكانها طبع الصحيفة مادامت شهرية .

وكنت كتبتُ للصديق الأستاذ عبدالله عريف - رحمه الله - وهو مدير تلك المطبعة أطلب منه أن يُجِدَّ « اليامة » بشيء من كتاباته ، فبعث يستوضح عن موضوع ما يكتبه ، وأشار إلى ماحواه العدد الأول من موضوعات من بينها ما نشرته المجلة عن « تهذيب الصحاح » وذكر أن الشيخ محمداً كان راضياً عن ذلك لا كما قَدَّرْتُ ، وأضاف في كتابه إلي : (لست من رأيك في طبع المجلة في مصر ، لا لأني أريد لمطبعة البلاد السعودية ، بل لأن ذلك أكرم لبلادنا ، ومَسْأَلَةُ الأَسْعار والمطابع هنا ولاسيما مطبعتنا تستطيع أن تساعدك في هذا ، لاسيما إذا قَدَّرْتُ مشاكل الشحن من القاهرة إلى هنا) .

إذَنْ هاهي مشكلة الطباعة قد أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْحَلَّ ، وفعلاً تم الاتفاق على ان تتولى مطبعة البلاد السعودية في مكة طبع المجلة اعتباراً من العدد الثالث باجرة قدرها ٥٦٠ ريالاً لألف نسخة (خمس ملازم) أي مايقرب من ضعف أجرة طبعها في مصر ، ويضاف إلى هذا ٦٠ ريالاً تصحيح التجارب (البروفات) ولكن أحد الإخوة ابدى استعداده للقيام بالتصحيح بدون مقابل وهو الأستاذ عبدالله بن خميس ، وكان مقيماً في مكة في ذلك الوقت ، وفعلاً صدرت أربعة أعداد من الثالث إلى السادس مع ملحق لجزء ربيع الثاني ١٣٧٣هـ عن وفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مطبوعة بتلك المطبعة ، ولكن تلك الأعداد كانت تتأخر في صدورها عن الوقت المحدد ، فقد يوشك أن ينتهي الشهر قبل صدور العدد المخصص له ، والمفروض توزيعه في أوله ، مما اضطر الأستاذ عبدالله لكتابة كلمة

في باطن غلاف العدد السادس الصادر في شهر جمادى الأولى ١٣٧٣هـ جاء فيها (فرنا من المطابع المصرية لسبيين : ١ - كثرة الأغلاط المطبعية وهي نتيجة حتمية تفرضها بحوث المجلة وتحقيقاتها الغربية على المصححين هناك - ٢ - هوة البعد السحيقة بين محرري المجلة وبين المطبعة مما يسبب تأخر المراسلات والوقوع في الارتباك ، ولأجل هذا اخترنا مطابع البلاد السعودية لتكون الفائدة مزدوجة ، فانعكست القضية وجاءت الخسارة بالنسبة إلينا مزدوجة) .

ثارت نائرة الصديق الأستاذ عبدالله عريف مدير مطابع البلاد فأرجع مواد العدد السابع وأخبر الأستاذ عبدالله برفض طبعها ، ولم يُجِدْ ما بذلته من محاولات ليبقى الأمر على ما هو عليه ، فكان الاتصال بمؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة ويديرها السيد مدني بن حمد ، لطبع المجلة ، وبعد الموافقة بشفاعة الشيخ إبراهيم الجفالي - رحمه الله - تم تقديم عدد رجب ، ولقد انتهى الشهر والذي يليه ، ثم خرج العدد بشكل غير ملائم للأعداد التي صدرت من حيث الشكل مما اضطر إلى العودة للطبع في الخارج .

وكان بعض الإخوة قد انشؤوا مكتباً في بيروت باسم (المكتب السعودي للتأليف والنشر) ومن أعماله الاشراف على طبع ما يوكل إليه من مطبوعات كان من بينها هذه المجلة ، من العدد الثامن من سنتها الأولى حتى العدد التاسع من السنة الثانية ، حيث تم طبعه في (مطابع الرياض) في شهر رمضان سنة ١٣٧٤هـ وبعده صدر العددان العاشر والحادي عشر عن شوال وذو القعدة سنة ١٣٧٤هـ مزدوجين ، لتبدو الصحيفة فيما بعد في شكل جريدة أسبوعية جامعة اعتباراً من غرة شهر صفر سنة ١٣٧٥هـ (١٨ سبتمبر ١٩٥٥م) .

وإشياء الله أن تُنزعَ من يدي وأنا أهيتها للصدور يومية في سنتها الثامنة ، إلا أن فيصلاً - رحمه الله - لم يرضَ بهذا الحيف ، فسارع لإزالته في أول مناسبة سنحت لذلك .

لم تكن المسيرة في معايشة الصحافة - في السنوات الماضية - مريحة ، وخاصة بالنسبة لي ، مما لاداعي لتفصيل ما قاسيته خلال صدور «اليامة» جريدة ، ولن

أتحدث عن المشكلات التي تعترض سير الصحفي الناشئ في بلاد حديثة العهد بالصحافة ، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى واحدة منها ، ومنها تنشأ أشدُّ البليات وأسوأ المشكلات ، انها مشكلة الرقابة على المطبوعات (ولا يبتك مثل خبير) .

لم أشعر صباح يوم من الأيام وأنا في مكنتي في مطابع الرياض إلا بالأستاذين عبدالعزيز بن ابراهيم بن معمر وعبدالله بلخير مستشاري الملك سعود - رحمه الله - يدخلان عليّ ، وأثناء حديثهما أخبراني أن الملك بعثها لكي يسند إليّ رئاسة مكتب مراقبة المطبوعات في الرياض الذي أمر بإنشائه ، فرجوتها أن يبلغها جزيل شكري على هذه الثقة التي أَعْتَزُّ بها وإنني أرجو منه أن يفضل عليّ بان أتولى رقابة الجريدة التي أصدرها وحدها دون غيرها ، فكان الأمر كذلك ومضى وقت و « اليامة » بدون رقيب ، ثم حدثت أمور لا داعي لتفصيلها وتولى الرقابة في خلال ذلك عدد من المراقبين ممن كان وصفهم بالجهل لغاية ما اسند إليهم من عمل أيسر صفة تنطبق عليهم حتى حانت من فيصل - رحمه الله - إحدى نظراته الصائبة ، فزال عن الصحافة (كابوس) الرقابة .

وكان مما حدث أنني في شهر محرم سنة ١٣٧٧هـ وصحيفة « اليامة » في سنتها الرابعة - رأيت قضاء فترة من الوقت في مصر ، وفي مساء اليوم الذي قررت السَّفَر في صبيحة الذي يليه . وكنت قد أسندت عمل الإشراف على شؤون الصحيفة للأستاذ عمران بن محمد العمران ، إذ دخل علي شابٌّ من سُداة الأدب ، ممن كنت أرى بعض كتاباتهم تُنشر في الصحف ، فقدم لي كتاباً خلاصته أنَّ الأمر السامي صدر بإنشاء مكتب للمطبوعات في مدينة الرياض ، وإسناد ادارته لفلان (الشاب نفسه) ليتولى الإشراف على المطبوعات بما فيها صحيفة « اليامة » ، فاستقبلته استقبالاً حسناً ، وأخبرته بانني سأسافر غداً وأنَّ الأستاذ عمران سيتولى رئاسة تحرير الصحيفة ، وانني لأملُ أن يكون عوناً له في عمله ، وبعد حديث طويل عبرت له فيه عن سروري بتوليته أعمال رقابة المطبوعات ، وما يناط به وبأمثاله من الشباب المثقف من آمال ، حيال صحافة بلادنا الناشئة - خرجنا إلى المكان الذي اعتاد الناس في ذلك العهد الخروج إليه في المساء (طريق خريص) وبقينا في أحد المقاهي إلى ما بعد العشاء ، ثم افترقنا

مطمئناً على أن الصحيفة ستجد من هذا الشاب خيرَ عون لها لتسير سيراً محققاً للغاية المتوخاة .

ولكنني لم أشعرُ وأنا في القاهرة استمع إلى إذاعة لندن في صباح أحد أيام آخر شهر صفر ، ولم أستكمل الشهر في غيابي إلا بإذاعة خبر فحواه : أن الحكومة السعودية قررت إيقاف جريدة « اليامة » مدة شهر ، ومحكمة صاحبها لنشرها مقالاً يمس الحكومة الباكستانية .

كان الأستاذ عمران نشر كلمة في العدد الـ (٩٦) بتاريخ ٢٠/٢/١٣٧٧هـ عن (آغا خان) وتعرض فيها لذكر حكومة الباكستان ، وكان الرقيب قد أجاز نشرها ، فلما احتجت الحكومة الباكستانية وعرض الأمر الشيخ يوسف ياسين على الرجل المسؤول في الدولة في غياب الملك وولي عهده أمر بإيقاف الصحيفة وسجن صاحبها ، وقبل البدء في التحقيق عمد الرقيب إلى أخذ أصل المقال ، وقال للمشرف على الصحيفة : إذا سئلت عن نشره فقل : بأن قسم الصف أخذه مع الأوراق الأخرى بدون اطلاعي .

عدتُ في ١٨ شهر ربيع الثاني ١٣٧٧هـ وأشرفتُ على تهيئة العدد الجديد من الصحيفة ولكن الأستاذ عمران أخبرني بأن الرقيب لم يُجِزْ نشر شيء من مقالاته ، فلما استوضحت منه بالهاتف كان جوابه : يُوجَّهُ هذا السؤال إلى مرجعي ، ولم يستكمل كلامي ، فكان أن ذهبتُ في صباح اليوم التالي إلى الشيخ عبدالله بلخير ، ومعني إضبارة مملوءة بالمقالات التي أمر الرقيب بعدم نشر شيء منها ، فوجدت الاثنين معاً ، فكان مما جرى الحديث فيه موضوع الرقابة وأن الأخ القائم بها الآن لا يُبدي تعاوناً مع المشرفين على الصحيفة ، وقدمت له النماذج مما في الإضبارة ليطلع على شيء من تصرفاته ، وكان من بين تلك المقالات مقالٌ للأستاذ محمد علي العبد عن احتجاج جمعية الرفق بالحيوان في بريطانيا بشأن (الكلبة لا يكا) وسكوتهما عن قذف الطائرات البريطانية القنابل المحرقة على الشيوخ والنساء في الجنوب العربي ، ومقالٌ آخرٌ للأستاذ عبدالكريم بن جهيمان عن ضرورة إيجاد أمكنة لقضاء الحاجة في الميادين والساحات العامة في مدينة الرياض

استكمالاً لنظافتها . فلما استوضح الشيخ بلخير من المراقب عن عدم السماح بنشر عدد من المقالات كان مما أجاب به : بريطانيا صديقة لنا ولا يسوغ أن نوجه لها نقداً ، كما أن مدينة الرياض ينبغي ألا يقرأ الناس عنها أنها غير متكاملة في مظهرها الحسن . وأجوبة أخرى عن المقالات الأخرى من هذا القبيل .

فأكدت للشيخ بلخير ضرورة تغيير المراقب بإنشاء هيئة رقابة مكونة من مندوب من وزارة المعارف ، وآخر من إمارة الرياض ، وثالث من المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر ، ورابع من إدارة الصحيفة أو ترك الأمر إليّ كما كان في السابق ، ولكنه أظهر لي من الرقة واللفظ والتودد ما حملني على الثقة به ، ولكن كما قيل : (يَدُ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي) ، فأصدرتُ العدد الذي كان المراقب قد أشار بعدم نشر بعض مقالاته إذ رأيتها كلها صالحة للنشر ، وفي مساء ذلك اليوم تلقيت صورة برقية مطولة موجهة إلى صاحب الجلالة وإلى سمو ولي عهده ، وإلى المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر بأن صاحب « اليامة » قد تخطى نظام المطبوعات ، وخالف الأوامر وفعل كيت وكيت .

فما كان مني إلا أن وجهت برقية لتلك الجهات مضمونها : إن عدم تعاون المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر مع الصحيفة اضطرني إلى إيقافها حتى ترى الحكومة رأيها في الأمر .

اتصل بي الأمير فهد الفيصل أمين مدينة الرياض ، وأخبرني بأن الملك ليس راضياً عن إيقاف صدور « اليامة » فأوضحتُ له الأمر ، فكان أن استبدل الرُقَيْبُ بآخر فتنفس القائمون على الصحيفة الصُّعْدَاء ، ولكن أصل الداء لم ينحسم حتى حانت من فيصل - رحمه الله - إحدى نظراته الصائبة ، فأزال عن الصحافة كابوس الرقابة في ٢٤ رجب سنة ١٣٧٩ هـ .

كان الأستاذ السيد علي فدق يكتب في « اليامة » بصفة مستمرة فكان فيما يكتب ملاحظات حول (ديوان المظالم) ويرأسه في ذلك العهد الأمير مساعد بن عبدالرحمن - رحمه الله - فأثار ماكتب غضب الأمير ، وكان الذي يتولى إدارة الإذاعة والصحافة والنشر الأستاذ إبراهيم الشورى بالوكالة عن الشيخ عبدالله

بلخير ، وكان حديث العهد بالقدوم إلى الرياض ، وبينى وبينه معرفة ، منذ كان مديراً للمعهد السعودي في مكة ، وكنت من طلابه ، فذهبت للسلام عليه في (فندق زهرة الشرق) وبينما أنا عنده إذ دخل عليه الأستاذ عبدالمؤمن مجلّد ، مدير مكتب رئيس ديوان المظالم فقدّم له الجريدة مشيراً إلى مقال الأستاذ فدعق ، وأخبره بأن الأمير متأثر من هذا المقال ، فغضب الأستاذ الشورى .

وما كان فيما كتب الأستاذ السيد علي فدعق ما يثير الغضب ، إذ نصه كما جاء في العدد الـ (٢٠٢) الصادر في تاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ تحت عنوان :
(كل احد) :

٢ - ديوان المظالم لدينا عُصْرٌ من عناصر العدالة ، وتطبيق النظام ، ونصفة الذين تقع عليهم ظلمات رؤسائهم الذين يستغلون سلطتهم لظلم الآخرين ، هذا الديوان هل رفع لجهة الاختصاص إذ تنص المادة العشرون من نظام شَعَبِ مجلس الوزراء الموقر على وجوب رفع تقرير كل ستة شهور ؟ لم نَسْمَعْ ولم نَقْرَأ انه رفع مرة تقريره إلى الجهة المختصة إننا نرجو أن نَقْرَأ - مجموعة أحكام ديوان المظالم - لأنها تحوي آراء فقهية محترمة وتفسيرات قانونية سليمة لأن بالديوان علماء نرجو ذلك وكان الله في عونهِ . انتهى .

ولكن الشيخ الشورى وهو المشرف على إدارة شؤون الصحافة اثناء غياب الشيخ عبدالله بلخير كتب أثناء زيارتي للسلام عليه كلاماً باسم (رئيس التحرير) يدور حول ثقة الصحيفة ببعض الكتاب ، وكون بعضهم ليس محلاً للثقة لأنهم يكونون من الأهواء والأغراض خلاف ما يبدو في مجال النصح والإرشاد وذكر الأستاذ السيد علي حسن فدعق باسمه ، وطلب مني ان انشر هذا الكلام بتوقيعي ، فأظهرت له الموافقة مجاملة ولكنني رأيت الكلام على درجة من القسوة تحول دون نشره . وفي المساء تلقيت برقية بعدم نشر أي شيء من كتابات الأستاذ علي فدعق .

واتفق أن زار المطابع الشيخ الشورى في صبيحة اليوم الثامن عشر من شهر رجب ١٣٧٩هـ لطبع أوراق تتعلق بزيارة ملك المغرب التي ستجري في العشرين

من الشهر المذكور ، فرأى العدد الـ (٢٠٥) الصادر في ذلك اليوم خالياً مما كتب عن الأستاذ على حسن فدعق . فانفعل ووجه إلى كلاماً شديداً لم استطع تحمُّله ، فخرج من المطبعة غضبان ، ويظهر انه ذهب إلى مجلس الوزراء لمقابلة سمو الأمير فيصل ، فكان أن صدر الأمر بدعوة الصحفيين في صبيحة يوم السبت ٢٤ رجب ١٣٧٩ هـ .

وعقد الاجتماع الصحفي في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت في التاريخ المحدد ، برئاسة سمو رئيس مجلس الوزراء الأمير فيصل ، وحضره عن المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر الأستاذ إبراهيم الشورى وحسن الأشعري ، كما حضره رؤساء تحرير الصحف (قريش واليامة والندوة والرائد وأم القرى وصحيفة الخليج العربي والمدينة المنورة وصحيفة القصيم) .

وكانت تحية كريمة من فيصل - رحمه الله - حيث رأى صاحبي « قريش » و « اليامة » جالسين في طرف الحاضرين أن دعاهما واجلسهما بجواره ، ووصفهما بأنها شيخي الصحافة وينبغي ان يتصدرا المجلس . وكان ذلك في الوقت الذي كان بعض الحاضرين يتوقع ان يُصَبَّ جامٌ غضبه على من كان السبب في الدعوة لهذا الاجتماع .

ثم كانت لفتة كريمة أخرى من سموه حين سمي « اليامة » في معرض الحديث عن الصحف التي كان يحرص على قراءتها وهو في (لوزان) .

وفي سياق التدليل على ما يمكنه سموه للصحفيين من تقدير واحترام واعتراف بفضلهم قال : إنه أصدر أمره بتعيين أحدهم وهو الأستاذ عبدالله عريف (أميناً للعاصمة) ، ووصف الاجتماع بانه عائليٌّ أَخَوِيٌّ ، المقصود منه التذاكر في الشؤون المتعلقة بالصحافة ، ثم أعلن سموه الغاء الرقابة قائلا : إن القائمين على الصحف هم أبناء البلاد ، ومن الصفوة الطيبة التي يجب أن تكون قدوة صالحة في كل عمل نافع ، في التوجيه والارشاد ، وفي تحري الحقيقة ، وفي النقد النَّزيه ، وفي عدم الانحياز إلى هوى أو مأرب خاص ، وإن لهاؤلاء الصحفيين من التقدير في نفسي ومن الثقة بهم ما يحملني على أن أرفع الرقابة عن الصحف .

أخلاق عرب الرولة وعاداتهم

لألويس موزل

ترجمة د. محمد بن سليمان السديس

١ - اللباس والسلاح (★)

الذقون والشعر ، الوشم ، الأحزمة : يَعْتَبِي الرُّوْلَةُ كثيراً بالجسم^(١) ، ولاسيما بشعرهم ولحاهم ، ولا يكاد يكون بينهم من لا يجيد الحلاقة ، وقصَّ الشعر ، ويقدم كل منهم هذه الخدمة للآخر لأنه ليس لديهم مرايا يخلقون أمامها ، فيجلس الرُّوْلِيُّ بعد أن يَدْعُو صاحبه قائلاً : (حَسَنِي أَوْزَيْتِي ، أو احْلِقْنِي) ، على عَقْبِيهِ ، وينتظر صابراً إلى أن يُعِدَّ صاحبه صابونته وشفرته ومقصه ، فإن كان يودُّ أن يخلق الشعر النامي تحت ذقنه وعلى حلقه (الجرْجُور) قال : (جَرْجَرِي) . فإنَّ رغب في أن يخلق قفاً رأسه إلى أذنيه (صُورِه) قال : (صَوْرِي) ، وإلا فإنَّ الحلاق سيخلق شعرَ قفا رأسه والشعر الذي تحت الذقن ،

ويبقى حديث - بل أحاديث - فقد أبقت سنو الصحافة العجاف في القلب أسي ، وفي النفس حُرْقَةً ، وفي الحلق غُصَّةً ، إلا أنَّ المقام يستدعي الإيجاز ، والمناسبة مناسبة طيبة ، يراد منها استجلاء جهودٍ خَيْرَةٍ ، جديرة بأن تمحو آثار تلك السنين الغُبر ، فها هي صحافة البلاد تبدو في أروع مظهر وأقواه ، في رعاية شاملة من دولة كريمة ، توجهها عقول نيرة حكيمة .

وها هي نخبة الشباب الواعي المثقف - بما أوتيت من علم وإدراك - تَكْتَفِي جَنَبَاتِ تلك الصحافة في مختلف شؤونها لتبلغ بها ما يستطيع بلوغه في توجيه الأمة وجهة الخير والصلاح .

وما إخالك - أيها القارئ الكريم - بحاجة إلى مزيد من البرهان أوضح مما بين يديك :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

حمد الجاسر

ويقص لحيته القصيرة (لَحْيَةٌ أو دَقْنُهُ) ، وعنفته (عدسه) ، ويحلق عارضيه (عوارض) ، ويقص شاربه (شوارب) مُقَصِّراً طرفيه (سُبُق) ، ويمشط الشعر على الجبهة ، ويقصره (قصه) في الوقت نفسه ، إِنَّ الأشخاص – ولاسيما من يهتمون بمظهرهم – يصفرون شعرهم الأمامي لِيُضْجِحِي ضفيرتين أو أربع ضفائر (قرون) أو سِتَا ، بل قد يبلغ الثماني ، والرجل الذي يصفّر شعره على هذا النحو ، ويتأَنَّقُ في زيه (وَلَدٌ يَنْصُبُ) يُدْعَى (جاهل) ، أما الرجال الذين لا ضفائر لهم فيتولى الحلاق حلاقة شعرهم (شوشه) ، فإذا فرغ من عمله حتى الحليق قائلاً : (إِسْلَمَ وَاغْنَمَ الْبِلَّ !) أي (لتسلم ولتغنم الإبل !) ، والإجابة : (أجرك الله) . فيضيف الحلاق : (ساعحك الله) . ويكاد يكون الحلاقُ العامُّ دائماً بدوياً حراً ، ويحلق من أجل الكلمة الطيبة لا من أجل الأجر المادي ، ولذا يجب أن يشكر ، لأنه لا أسوأ عند البدوي من إساءة الأدب ، أو نكران الجميل ، ولذا قيل : (تَعَبَ الْحُرُّ مَرَّةً) .

والغدائر الطَّوَالُ مَصْدَرُ زهول للبدوي الساذج الذي يختال بها اختيالاً صبيانياً ، وغالباً ما ألحقت به بالغ الضرر (تورده موارد الهلاك) ، فإن طورد أمكن القبض عليه ببسر ، إن أمسك العدو بصفائره ، لأنه لن يكون عاجزاً عن الفرار وحسب ، بل يستطيع أعداؤه أن يوثقوا يديه خلف عنقه بشعره هو ، وإضافة لذلك يربطون ضفيرة أو ضفيرتين حول ساقه فوق الكاحل . . ولذا قيل : (راسك عَرَاصِكَ) . لقد قال لي صاحبي مندبل القطعي : إِنَّ قوماً من عشيرة التُّومَانِ التابعة لقبيلة شَمَّرَ ، قبضوا عليه ذات مرة ، وكان قد حاول سرقة بعير لهم ، فشدوا وثاقه بصفائره ، ولما اطلقوا سراحه في اليوم التالي قَصُّوها ، ومُنْذُ ذلك الحين ومندبل يبقي شعره قصيراً (شوشه) . وإذا قَبَضَ بدويٌّ على لُصٍّ ، سواء أكان (اللص) على قدميه (حايف) ، أو راكباً (مُعِيرٌ) ، من قبيلة معادية له (قُومَانِي) قص قطعة من ضفيرته ، قارناً عمله هذا بقوله : (أنا مُعْتَقْتُكُ اللهُ) . ويضيف : (إِنَّ قَصْبَتَكَ لَأَقْصَّ لِحْيَتَكَ) أي : لئن أمسكت بك (أي مرةً أخرى) لَأَقْصَنَّ لِحْيَتَكَ .

إن قطع لحية المرء – حسب الفكرة الشعبية – كقطع رأسه . . (لا اقطع

راسك) ، إنه لأيسر كثيراً أن يعفو أهل القتل عن قاتله من أن يصلح أهل البدوي المقصودة لحيته من قصها .

ذهب سابل النَصِيرِي الرويلي ، مرة إلى قبيلة بني صخر باحثاً عن ناقتيه اللتين كانتا قد سلبتا منه (نقيصه) ، وقد حمل معه خطاب توصية لشيخهم من الأمير سظام ، وقد طلب الأمير سظام في خطابه من الشيخ أن يعيد لسابل ناقتيه ، أو أن يضمن حصوله على تعويض (يَدُونُ عَلَيَّكَ) . ولم يمض وقت طويل بعد رحيل سابل حتى قاد سظام محاربيه الشبان في غارة على الفدعان ، ولقد لقي سابل في وادي السرحان وسأله : (أين ناقتك ؟) - : (لم أجدهما) :

- لَمْ تَمْ يُوَسِّمًا بِسِمَةِ عَشِيرَتِكَ ؟ ماذا قال لك الشيخ ؟

- لقد قبض علي (الصخور) وهم يرعون إبلهم ، وأوثقوني بصفائري ، ووسموا على فخذي اليمنى سمة الصخور ، وقصوا صفائري ونصف لحيتي ، وطرردوني قائلين : (أَرِ أَهْلَكَ مَا نَبَلْتَ عَوْضَ نَاقَتَيْكَ !) . وما أن رأى سظام سمة الصخور حتى صاح : (يَشُوفُ اللهُ لَنَا وَهُمْ ! على بني صخر !) أي : ليقض الله بيننا وبينهم ، (فَلَنُغْرُ) على بني صخر ! . ثم هاجم الرولة نخيم بني صخر ، وأسروا أكثر من مئة رجل ، وقصوا لحاهم بالسيوف والخناجر ، ووسموا سمة الرولة على خد كل رجلٍ وأذنيه ، وذهبوا بقطعانهم برمتها ! .

ويحلق كثيرٌ من الرجال الكبار الرأس كله ، ويسمى (الواحد) من هاؤلاء (أصلع) . أما من هم صُلْعٌ طبيعةً فَيُدْعَى أحدهم (أقرع) .

وتهتم الفتاة بشعرها اهتماماً شديداً ، فهي تنتظر وقوف الناقة في الصباح فتلقى بولها بصحن صغير ، وتغسل شعرها به (تَبَوَّلَتْ) . إنَّ بولَ البعير يقضي على الصُّبَّان ، وينعش فروة الرأس ، ويُزِيلُ الحِكَّةَ ، ويُضْفِي على الشعر لمعاناً متميزاً . ثم تتناول الفتاة مشطاً خشبياً ذا أسنان خشنة في كلا جانبيه ، وتمشط شعرها (تَمَشَّطَتْ) وتجدله (تَلِمَّ رَأْسَهُ) . أما الشعر الذي فوق الجبين ، فهي عادة لا تجدله ، بل تقصه وحسب ، لكي ينساب إلى أسفل (قُصَّهُ) . . ولكنها تقص باقي الشعر الذي على أعلى رأسها ، وفوق أذنيها ، ليكون صفائر

(ذوايب) . . وتصنع ضفيريّتين صغيرتين (عَكَصَه) من شعر مؤخر الرأس ، وفي طرف كل ضفيرة عُقْدَةٌ صغيرةٌ قد رُبِطَتْ بشريط صغير . ولا تُلْفُ الضفائر حول الرأس ولا تُطَوَى . ويسمى الشعر الطويل غير المجدول (شَعْر) ، والمجدول يعرف بـ (قِذَائِل أو قُرُون) . والشعر المقصوص فوق الجبهة (قُصَّة - ناصية ، أو جبهة) . الضفائر : قذله ، عرف ، أو قرون . والشعر القصير : حواف ، بركم ، قعقوله ، راس ، أو شوشه .

إن الشعر الطويل والصفائر المسترسلة زينة المرأة الأساسية . . ويتمنى كل شاب ان يتزوج فتاة أو امرأة قد تحلت بتلك الزينة . أما الرجال الكبار فلا يعيرون اهتماماً للشعر الطويل ، وينصحون الشبان : (تِلَهَّى بِأَمِّ شَوْشَه الْيَامَا نُجِيكُ الْمُنْقُوشَه) أي : (تَسَلِّ بِالرَّأَةِ ذَات الشَّعْر الْقَصِير ، إذا لم تستطع الحصول على المرأة التي قد حُلِّيَ شَعْرُهَا بقطع النقود) .

والنساء كلهن تقريباً قد وُشِمَت شفاهُنَّ وخذودهن وأنوفهن وجباهن وصدورهن وماحول صدورهن ويطونهن . ويتولى الوشم دائماً امرأة عَجْرِيَّة (نُورِيَّة) ، فتنقش العجرية ، في بادئ الأمر ، أشكالاً معينة في الجلد ، ثم تغطس الإبرة في النَّيْلَةِ ، وتنقل هذا الصبغ إلى الثقوب . . وبعد هذه العملية تلف هذا الجزء من الجسم برباط . . ولا تنزع اللفائف مالم يمض اليوم السابع حين تغسل البقع . . وهكذا تظهر الصور (دَقَّ الوُشَام) . ويفترض عموماً أن تعزز الدوائر والمثلثات جمال الفتاة (مِنْ شَانْ زِرَافَه) .

ويرتدي الرجال والنساء على أجسادهم العارية نطاقاً دقيقاً مجدولاً من خمسة أنسعة من جلد الغزال ، ويدعى النطاق الذي يرتديه الرجال من هذا الضرب (حَقُو) أو (سَبِيَّه) ، وما ترتديه النساء (بَرِيْم) أو (غُسيِّي) . ويدعى الأشخاص الذين لا يلبسون هذا الحزام (مَعُو) أو (أَسَلَّت) . ويشترى الرولة (الحَقُو) من الصَّلْبِ عادة بربع مجيدية (٢٢,٥ سنتاً) .

ملابس الرجال :

يتألف اللباس الرئيسي للرجال من قميص أبيض (ثوب) يصل إلى العقبين ،